التَّرَابُطُ النَّصِّيُّ فِيْ وُرُوْدِ اسْمِ (الْقَوِيّ) فِي الْقُرْآنِ الكَرِيْمِ (نَظْرَةٌ فِي التَّوْظِيْفِ الْبَلَاغِيِّ لِلْمَعْنَى)

Textual Cohesion in the Occurrence of the Name 'Al-Qawiy' (The All-Strong) in the Holy Qur'an(A look at the rhetorical use of meaning))

أ.م.د. حيدر هادي أحمد

Assit. Prof.Dr. Haider Hadi Ahmed

العراق / الجامعة المستنصريّة – كلّيّة التّربية – قسم علوم القرآن

Iraq / Al-Mustansiriyah University/ College of Education/ Department of Al-Qur'an Sciences

dr.haider.q@uomustansiriyah.edu.iq

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحث:

قامت هذه الدراسة على كشف التّرابط النّصّيّ في ورود اسم القويّ لله تعإلى في القرآن الكريم.

إذ تشكّلت هذه الآيات في ثلاث مجموعات:

الأولى: اقتران وصف (ذو القوّة) باسم (المتين) في سياق ذكر النّعم.

الثانية: اقتران اسم (القويّ) بالوصف شديد العقاب في سياق ذكر العذاب

الثالثة: اقتران اسم (القويّ) باسم (العزيز) في سياق ذكر المؤمنين بمعية الكافرين.

ولاحظت أنّها مترابطة بحسب الموضوعات التي وردت فيها من ناحية، ومن ناحية أخرى فهي مترابطة بحسب النّصّ الذي وردت فيه بحيث تحقق فيها ترابط نصّيّ بحسب معايير (فان ديك) من حيث وجود تعالق إحاليّ بين معاني المفردات و الجمل. و وجود تعالق بين الوقائع المحكية من حيث التّرتيب الزّمني لهذه الأحداث. و تعالق العوالم الممكنة لوجود علاقة السّبب و النّتيجة المرتبطة بموضوع التخاطب.

الكلمات المفتاحيّة: الترابط النصيّ – القويّ – التوظيف البلاغيّ.

Abstract:

This study was based on revealing the textual coherence in the name of Almighty Allah (Al-Qawi) in the Holy Quran.

So these verses were formed into three groups:

The first: is the association of the description of (the one with power) with the name (Al-Matyn) in the context of mentioning blessings.

The second is the association of the name (Al-Qawi) with the description (extremely punishing) in the context of mentioning the torment.

The third is the association of the name (al-Qawi) with the name (Al-Aziz) in the context of mentioning believers with unbelievers.

And so I noted that these are linked according to the topics in which they appear on one hand، and on the other hand they are linked according to the text they were mentioned in، so that it achieve a textual coherence according to the standards of (Van Dyck) in terms of the existence of a referential relationship between the meanings of words and sentences. And the existence of a correlation between facts: spoken in terms of chronological order of these events and (the correlation of the possible worlds) by the presence of the cause and the result relationship that is related to the subject of communication.

keywords: Textual coherence - Al-Qawi - Rhetorical employment.

المقدّمة:

إنّ ترابط النّصّ القرآنيّ يُعَدّ المثال الأعلى لسائر النّصّوص الأدبيّة؛ وإنّنا حين نشرع في استكشاف هذا التّرابط النّصّيّ لاسم (القويّ) لله تعالى في القرآن الكريم، لا بدّ لنا من استطلاع أهمّ الجهود التّفسيريّة لهذه المواضع واستقرائها من أجل الوصول إلى الدّلالة المتوافقة مع روح النّصّ القرآنيّ .

وسنتناول هنا محورين؛ الأوّل: مفهوم التّرابط النّصّيّ، والآخر: اسم القويّ في القرآن الكريم.

المحور الأوّل: مفهوم التّرابط النّصّيّ:

يدلّ مفهوم التّرابط النّصّيّ على البنية العميقة للنّصّ، لِمَا يكتنفه من معانٍ، وكيف ترتبت وتآلفت؛ ممّا يشدّ السّامع إليها، وتجتذبه؛ ليتلمّس تحقّقها من معاينة الرّوابط الدلالية بين أجزاء النّصّ.

هذا ما يفهم عند تتبّع مفهوم التّرابط النّصّيّ الّذي استعمله (فان ديك) لعلاقة خاصّة بين الجمل[1]؛ إذ تقوم هذه العلاقة «على التّصوّر الّذي يجمع عناصرَ نحويّةً تقليديّة مع عناصرَ مستقاةً متداخلة مع النّحو؛ وقد مُيِّزَ بين نوعين من الرّوابط، أمّا أوّلها فتحقّقه أدوات الرّبط النّحويّة(الرّابط)، وأمّا الأخرى فتحقّقه وسائلُ دلاليّة، وإذا كان الرّبط (الاتّساق) يظهر في المستوى السّطحيّ للنّصّ، من خلال الجمل؛ فإنّ التّماسك (الانسجام) يظهر في

المستوى العميق للنّصّ؛ وهو يوضح طرق التّرابط بين التّراكيب، الّتي ربّما لا تظهر على السّطح»[٢] .

فلتحقيق التّرابط النّصّيّ نسعى إلى إيجاد علاقة بين معاني المفردات في الجمل، في ضوء وحدة موضوعيّة تمثّل وجود (تعالق إحاليّ)، وكذا وجود (تعالق بين الوقائع) المحكيّة من حيث التّرتيبُ الزّمنيُّ لهذه الأحداث، و(تعالق العوالم الممكنة) بعلاقة السّبب والنّتيجة، ومدار هذه العلاقات مرتبط بموضوع التّخاطب نفسه [٣].

وممّا سبق يبدو دور المتلقّي جليًّا -بما لديه من مَلَكات ومؤهّلات- في تفكيك النّصّ وتركيبه مرّة أخرى بعد تلقّيه من النّصّ أو المتكلّم لإنتاج دلالاته المقصودة بملاحظة الوحدة الموضوعيّة لهذا النّصّ، وتعالق مفرداته [٤].

وممّا يبدو أنّ لكلّ نصّ علاقته الخاصّة، المرتبطة بطبيعة بنيته، وحذاقة منشئه؛ فانسجامه يدلّك على جميل مبانيه ولطافة معانيه ومقاصده .

لقد اكتسى مفهوم التّرابط النّصّيّ بملامح الحداثة في عصرنا الحاليّ، إلّا أنّ إرثنا العربيّ البلاغيّ يسوقنا إلى جهد واضح قد أشار إليه؛ إذ يقول الشّيخ عبد القاهر الجرجانيّ«كيف يتصوّر أنْ يصعبَ مرام اللّفظ بسبب المعنى؛ فاللّفظ معك وأزاء ناظرك؟ وإنّما كان يتصوّر أنْ يصعبَ مرام اللّفظ من أجل المعنى، أنْ لو كنت إذا طلبت المعنى فحصّلته، احتجت أنْ تطلبَ اللّفظ على حِدة، وذلك محال ...ولم يكن المطلوب أبدًا إلّا ترتيب المعاني»[٥].

إذ لو تفحّصنا كلام الجرجانيّ بلغة عصرنا لتوضّح لنا كيف يوازن بين البنيتين: السّطحيّة المتمثّلة بترتيب الألفاظ وتعالقها، والعميقة المتمثّلة بالدّلاليّة وترتيب المعاني المقصودة؛ وهذا يتحصّل بتتبّع مكوّنات النّصّ وزمكانيّته، وموضوعه ومتلقّيه ...

المحور الآخر: اسم القويّ في القرآن الكريم:

في البَدء نتعرّف معنى القويّ في اللّغة : فـ«القويّ : صفة مشبّهة تدلّ على الثّبوت من قوِي، القويّ : ذو القوّة«[٦]وهو ضدّ الضّعف؛ وهو من أسماء الله تعإلى[٧].

والقوّة المعبودة –من جهة نظر العبد–: «هي قوّة عُلويّة سبحانيّة قاهرة غير مقهورة، يخضع هو لها، ولا تخضع له»[٨]؛ إذ يتّصف بها الله سبحانه كونها صفةً ذاتيّة ثابتة غير طارئة، ولا مكتسبة، ولا نافدة، قويّ ذو قوّة تامّة، لا يطرأ عليه عجز ولا ضعف ولا نصب، وقوته فوق كل قوة ودونها كل قوة، فهو قوي قادر غالب قاهر .

ويقول الطّاهر بن عاشور: هو إذا كان الموصوف به ذا طاقة على العمل، وصار قويا، ازداد صلابة وشدة وثباتا [٩].

وقع الاختيار على اسم (القويّ) لله تعإلى في القرآن الكريم لملاحظة التّرابط النّصّيّ في إيراده؛ إذ يُعَدّ أنموذجًا لذلك .

فإذا بحثنا فيه عن التّرابط النّصّيّ لا أنّنا نريد إثباته في النّصّ القرآنيّ؛ بل إنّنا نستأنس بمعرفة علوّ هذا التّرابط النّصّيّ المقصود؛ لما تآلفت فيه الألفاظ ولما ضمّ من معانٍ ودلالات؛ فالانسجام فيما بينها تبع لعلوّ منشيه، وإحاطة باريه عزّ وجلّ .

فالحديث عن لفظ معيّن يتعلّق بزمان الخطاب ومكانه والظّروف الّتي دعت إليه، فضلًا عن مقصديّة الخطاب في البناء العقديّ السّليم للمجتمع المستهدف به؛ لتهذيب الوعي الجمعيّ للأمّة، والانتقال بها من الغفلة والتّيه إلى حيث الوعي والتّنبه لتوحيد البارئ عزّ وجلّ في صفاته الّتي هي عين ذاته سبحانه؛ وهذا ما يجعله صالحًا لكلّ زمان ومكان.

لقد وردت لفظة القوّة ومشتقّاتها في ٤١ إحدى وأربعين مرّة على ما يأتي:

١٩ تسعة عشر موضعًا في وهْب الله تعالى القوّةَ للإنسان.

١٠ عشرة مواضعَ في اسم الله تعالى.

٥ خمسة مواضعَ في قوّة القلب والإيمان والخِلْقة.

٣ ثلاثة مواضعَ في حصر صفة القوّة به عزّ وجلّ.

٢ موضعان في وصف جبرائيل بالقوّة.

١ موضع واحد في وصف عفريت من الجنّ بالقوّة.

١ موضع واحد في وصف معدّات الحرب بالقوّة.(١٠)

وبالبحث وقفت على تقسيم المواضع العشرة على الوجه الآتي :

١-اقتران وصف(ذو القوّة) باسم(المتين) مرّة واحدة في سياق ذكر النّعم.

٢-اقتران اسم (القويّ) بالوصف (شديد العقاب) مرّتين في سياق ذكر العذاب.

٣-اقتران اسم (القويّ) باسم (العزيز) سبع مرّات في سياق ذكر المؤمنين بمعيّة الكافرين .

أوّلًا : اقتران وصف (ذو القوّة) باسم (المتين) :

ورد هذا الموضع في سورة الذّاريات في الآية ٥٨ وهو قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (٥٩) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠)﴾.

لقد تحقّق التّرابط النّصّيّ في الآيات السّابقات في قوله تعالى (ذو القوّة المتين)؛ إذ حكت السّورة في مواضعَ مبثوثةٍ على طَوال السّورة؛ فعن نعيم المتّقين؛ قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦)﴾؛ فالدّلالة الجزائيّة بالنّعيم واضحة هنا

فلإحسانهم بما آتاهم الله على عياله في الدّنيا آتاهم ما آتاهم من النّعيم المقيم في الآخرة، وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩)﴾ وقوله ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢)﴾ وقوله عن أبينا إبراهيم في إكرام ضيوفه ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦)﴾؛ إذ إنّ هذا التّفضّل بالخير والنّعم بين الغنيّ والمحتاج هو امتثال لأمره عزّ وجلّ؛ وهو من أفضل العبادات؛ فلذا جاء التّعليل لحكمة خلق الجنّ والإنس بعبادته عزّ وجلّ، ثمّ أخبر سبحانه بأنّه لا يريد من خلقه رزقًا أو طعامًا بأسلوب المتكلّم (ما أريد)؛ إذ تكرّر الفعل هنا للمبالغة والتّوكيد؛ فليس شأن الله تعالى كشأن السّادة مع عبيدهم؛ فهم يستفيدون منهم في إعانتهم في تحصيل معايشهم وأرزاقهم. والله تعالى هو الغنيّ عن ذلك فهو رازقهم ومعينهم ويصلح معاشهم، ويغني الفقير ويفقر الغنيّ، ولا يملك ذلك إلّا الله تعالى [١١].

فالتّطابق الإحاليّ في هذا النّصّ يزيده ترابطًا ورسوخًا في ذهن المتلقّي في (**إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**) معلّلًا لقوله (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون)؛ إذ إنّ تكرار الفعل مع النّفي (ما أريد) هنا يفيد المبالغة والتّوكيد؛ فضلًا عن اقترانه مع أسلوب الالتفات[١٢]؛ فالالتفات في الآية من التّكلّم على النّفس إلى التّكلّم على الغائب لإنهاء التّعليل إلى اسم الجلالة الّذي منه يبتدئ كلّ شيء وإليه يرجِع؛ فهو الرّزّاق ذو القوّة المتين .

وعبَّرَ بالرّزاق –اسم مبالغة – لكثرة رزقه وكثرة المرزوقين؛ فلزم لهذا الأمر أنْ يكونَ مستغنيًا عن أيّ مخلوق؛ فهو (ذو القوة) وقد تكون أبلغ من قولنا (القويّ) لدلالة الاستغراق فهو سبحانه في غاية القوّة، لشمول رزقه ما يرى وما لا يرى من أول الخلق إلى آخرهم[١٣] .

ولذا تبع اسم الله والرّزاق وذا القوة المتين[١٤] «والمعنى في وصفه بالقوّة والمتانة أنّه القادر البليغ الاقتدار على كلّ شيء وأشار الزّجّاج إلى أنّ (المتين) يفيد في حقّ الله سبحانه التّناهي في القوّة والقدرة»[١٥] أيْ: إنّه البالغ في الصّفات كمالها وتمامها، فهو«القويّ الّذي يستحيل عليه العجز والضّعف؛ إذ هو القادر لنفسه، يقال: متن متانة فهو متين إذا قَوِيَ»[١٦].

وممّا سبق يبدو (تعالق الوقائع) بحسب معايير (فان ديك) في محوريّة اسم القويّ المتين هنا إلى تنبيه الله سبحانه لخلقه بقدرته واستطاعته؛ في أنْ يرغبَ العبد إليه؛ لأنّه المتناهي في قدرته واستطاعته، فوق كلّ مقتدر ومستطيع، فقام الخطاب هنا على ترسيخ هذه الحقيقة الثّابتة لدى المتلقّي.

ثانيًا: اقتران اسم (القويّ) بالوصف (شديد العقاب)، في سياق ذكر العقاب الدّنيويّ.

ورد في موضعين؛ الموضع الأوّل: من سورة غافر في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ

مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٢١) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢)﴾

في هذا الموضع يوجّه الخطاب القرآنيّ الأفهام والأذهان إلى سوء عاقبة الّذين كفروا؛ إذ جاء الخطاب عامًّا بالضّمير الغائب الجمعيّ ليُسمِعَ مشركي مكّةَ هذه العاقبةَ السّيّئة لتكذيبهم تلك الدّلائل والبراهين، على صدق المرسلين؛ لذا قابل شدّة تكذيبهم وإصرارهم عليه بذكر (أخذ الله) ففي الآية (٢١) عبّر عن إهلاكهم بـ ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ وختمها بـ ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ وهذا التّعبير يعضّد الّذي قبله، وكرّر لفظ (الأخذ) في الآية (٢٢) بقوله ﴿فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾؛ إذ ناسب اسم القويّ بشديد العقاب، لتوكيد الوعيد والتهديد، وليؤدّيَ أثره في المتلقّي رجاء ردعه وهدايته، وانتقال الخطاب في الآية التّالية لها (٢٣) للكلام على تكذيب فرعون وهامان وقارون لموسى عليه السّلام؛ إذ يشكّل نظمًا متسلسلًا لبيان عاقبة الجبّارين في الأرض الّذين أخذتهم العزّة بالإثم، وظنّوا أنّهم مانعتهم قصورهم وأموالهم ومن حولهم، وفي ضوء ما تقدّم يتبيّن تحقّق التّرابط النّصّيّ بالعلاقة بين معاني مفردات الآية (٢٢) بمن جاورها؛ فيستشعر المتلقّي وقع قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ومع أنّ جملة ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ جملة استئنافيّة؛ إلّا أنّها متّصلة مؤكّدة لما قبلها؛ فالنّاظر إلى عاقبة أولئك الّذين هم أقوى من

كفّار قريش مالًا وعددًا لا محالة يحكم بسوء عاقبة من هم أدنى منهم في الغيّ والطّغيان وأنّهم إلى زوال(١٧) .

فعلاقة المفردات لهذا الموضع ولما قبله وبعده متطابقة؛ ممّا تحقّق ترابطًا نصّيًّا بحسب معيار (فان ديك) في ضوء ما سبق لتماثل الطّرفين في الكفر والشّرك.

أمّا التّطابق الإحاليّ: فيتجسّد في سلسلة الآيات السّابقة الّتي تحكي عن عاقبة أقوام الأنبياء الّذين كفروا وكذبوا فلكلّ فريق منهم عقابه الّذي يستحقّه، وبعد هذا الموضع عرض أنموذجًا لعاقبة السّوء هو فرعون وجنوده وهامان وقارون وغيرهم. ومن حيث تعالق الوقائع؛ فقد ترتبت زمنيًّا منسجمة بحيث لم يكذب بها الحزب القرشيّ المشرك وكان الغرض من سرد هذه الوقائع هدايتهم بردعهم عن مسار الضّلال الّذي سلكه من كان من قبلهم علمًا أنّ هذا الموضع الأوّل هو مكّيّ النّزول؛ ولذا تقدّم هنا في الدّراسة.

الموضع الثّاني وهو مدنيّ النّزول من سورة الأنفال؛ وهو قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (٥٤)﴾.

أشار الدّكتور محمود البستانيّ إلى النّصّوص الّتي مهّدت لإيراد هذا الموضع الّذي يعرض حال فئة المنافقين ومرضى القلوب؛ ليعودَ بالحديث عن الكافرين لعلاقة مشتركة بين الطّرفين؛ في تطابق نيّاتهم **ونفسيّاتهم؛ فجرى تحذيرهم وتذكيرهم في سياق متشابه، للمصير المشترك الّذي ينتظرهم، دنيويًّا وآخرويًّا، على ما آل إليه مصير فرعون وجنوده** [١٨].

ولتحقّق معيار العلاقة بين المفردات؛ فهو واضح جدًّا في هذا الموضع؛ وذلك لتشابه السّياق الجزائيّ بين الآية ٥٢ والآية ٥٤؛ إذ تتوسّطهما قاعدة مهمّة في الآية ٥٣ تضرب الأفكار المنحرفة الّتي تسوق المجتمع نحو الانصياع للظّالمين والكافرين بتحرير أنفسهم من تبعات هذا الانصياع الأعمى.

فقد وضّح ذلك الطّبرسيّ في أنّ الأوّل شبه حالهم بحال المكذّبين، وفي الثّاني شبههم بحال من استأصلهم، وقد يكون الأوّل في أخذهم بالعذاب والثّاني في كيفيّة العذاب[١٩]، وهم شابهوهم في الوثنيّة، والكفر، والظّلم، والتُّهَم بالجنون والسّحر وغيره.

فإنّ زيادة وصف (قويّ) هنا مبالغة في تهديد المشركين والمقصودين بالإنذار والتّهديد، والقويّ الموصوف بالقوّة... فإذا وصف بها الله تعالى فتعني منتهى القدرة على فعل ما يريد[٢٠] هذا فضلًا عن اقتران وصف (شديد العقاب)، فلم يكن المجتمع القرشيّ غائبًا عن دلالتها؛ فإنّ أكثرهم قد أدرك هلاك أبرهة حينما

زحف بجيشه لهدم بيت الله الحرام؛ إذ تكفّلت إرادة الله عزّ وجلّ بإهلاكهم في قصّتهم المعروفة.

ومن هنا تأتي أهمّيّة تنبيههم؛ بسبب تغيير النّعمة إلى نقمة؛ فإنّ الله تعالى لا يسوق الأحداث والوقائع بالجبر على الإنسان؛ فلا جبر في مجريات التّأريخ ولا الزّمان؛ لأنّه تعالى منح الإنسان حرّيّة الاختيار بإرادته، وعلى هذا يحاسبهم فيما اكتسبوا من آثام، أو يثيبهم بما فعلوا من خير[٢١].

فإنّ تكرار السّياق القرآنيّ بين الآيتين ٥٢ و ٥٤ يُعَدّ توكيدًا بلاغيًّا على ما هو معهود في أساليب البلغاء؛ ففي الآية الأولى إشارة إلى الجزاء الإلهيّ لمنكري آيات الله تعالى والتّكذيب بها، حال كحال قوم فرعون والأقوام الضّالّة أمثالهم.

وفي الآية الثّانية إشارة إلى تبدّل النّعم في الدّنيا، وتحولّها إلى نقم كشأن الأقوام السّابقة الّتي أهلكها الله تعالى سبحانه[٢٢].

فإنّ جملة (لم يكُ مغيّرًا) تقابل جملة(حتّى يغيّروا)؛ وهو من الطّباق السّلب، الّذي يعني الجمع بين اللّفظ ومنفيه[٢٣].

وفي ضوء ذلك يتّضح التّطابق الإحاليّ في عاقبه الكفر والصّدّ عن أمر الله تعالى بين المعاصرين للتّنزيل وبين أشباههم في الضّلالة والشّرك من الأقوام السّابقة.

أمّا تعالق الوقائع والتّرتيب الزّمنيّ لها؛ فقد تسلسل الخطاب في إيرادها فتحقّق معيار(فان ديك) في تعليل هذه الوقائع؛ إذ بتكرار الأسباب تتكرّر النّتائج .

ثالثًا: اقتران اسم (القويّ) باسم (العزيز) في سياق ذكر المؤمنين بمعيّة الكافرين.

بين أيدينا هنا سبعة مواضعَ يقترن فيها اسم (القويّ) بـ (العزيز)، موضع واحد مكّيّ، وستّة مواضعَ مدنيّة؛ نبدأ على بركة الله بالموضع المكّيّ من سورة هود، في النّجاة والهلكة؛ وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القويّ الْعَزِيزُ (٦٦)﴾.

إنّ الجملة المؤكّدة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القويّ الْعَزِيزُ﴾ تحيل المتلقّي إلى الخطاب السّابق في الآية ٦١ من سورة هود؛ لما حكاه عن قوم صالح ﷺ في نصحه لهم وتذكيرهم بنعمه ولطفه، وكيف استنكروا عليه نهيهم عن عباده الأوثان وعدم حفظهم مقامه وقبوله عندهم بعد نهيهم عن الشّرك بالله عزّ وجلّ، وبعد أخذ و ردّ: طلبوا منه معجزة فأخرج لهم من الجبل ناقة مع فصيلها، وحذّرهم المِساس بها، بعد أنْ قسّم شربهم بينهم وبينها؛ فتطاولوا وتعدَّوا حدود الله عزّ وجلّ فعقروها فتوعّدهم بعذاب بعد ثلاثة أيّام؛ ذلك بأنّهم قدّموا منافعهم الشّخصيّة على مبادئ السّماء؛ فلم يبقَ لهم شفيع حائل بينهم وبين جزائهم في

الدّنيا؛ ولذا تجانس جزاؤهم مع جزاء قوم هود في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ - أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ وكذا في كفران النّعم الّتي أغدقها عليهم فلقوم هود ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ ولقوم صالح ﴿أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾؛ ولذا تجانس العقاب الدّنيويّ لهما في سياق تتقابل فيه عناصره الجماليّة بعضها مع الآخر[٢٤] وكذا في تجانس النّجاة لكلا النّبيَّين هود وصالح عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨)﴾، وعن صالح قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القويّ الْعَزِيزُ (٦٦)﴾؛ وهذا التّشابه في السّياق يُعَدُّ منبّهًا للمتلقّي بتشابه عاقبة الفريقين، ويشير الفخر الرّازيّ إلى قوله : (من خزي يومئذٍ) «وإنّما سمّى الله تعالى ذلك العذاب خزيًا؛ لأنّه فضيحة باقية يعتبر بها أمثالهم»[٢٥]، وإنّ أمثال قوم صالح في الشّرك هم قريش في وثنيّتها؛ وبذا ساغ أنْ يأتيَ الالتفات إلى ضمير الخطاب الحضوريّ في ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القويّ الْعَزِيزُ﴾ فهو «في موضع تعليل لمضمون صدر الآية وفيه التفات من التكلّم بالغير إلى الغيبة... والوجه في ذكر صفه الرّبوبيّة ليدلّ على خروجهم من زيّ العبوديّة وكفرهم بالرّبوبيّة وكفرانهم نعم ربّهم»[٢٦] وفي إشارة الطّباطبائيّ هذه إلى أثر السّياق البلاغيّ المتمثّل بالالتفات في توجيه المعنى يمكننا إدراك دقّة ملاحظة الفخر الرّازيّ بقوله (يعتبر بها أمثالهم) فإيراد اسم

القويّ في سياق حضوريّ بعد خطاب الغيب يجعل عاقبة المعاصرين لنزول هذا الخطاب حاضرة ماثلة بين يدَي الرّسول الكريم ﷺ لتحصل المعادلة بين الهلاك والنّجاة، على ما بيّنه الفخر الرّازيّ في سياق قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القويّ الْعَزِيزُ﴾ بأنّه تعالى أهلك الكافرين وصان المؤمنين عن ذلك الهلاك؛ فلهؤلاء كان عذابًا ولأولئك عزّة ونصرًا في آن واحد[٢٧]، ويصرّح الطّبرسيّ أنّ معنى الإثبات من جهة والنّفي من جهة أخرى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القويّ الْعَزِيزُ﴾ لأنّ القويّ «هو القادر على ما يشاء و(العزيز) الّذي لا يمتنع عليه شيء ولا يمنع عمّا أراده»[٢٨].

وهنا يتبيّن لنا دقّة ورود لفظ (القويّ) بمعيّة (العزيز) لحسم الصّراع بين التّوحيد والشّرك، والهدى والضّلال، والطّاعة والمعصية، وإنْ عزّ النّاصر وقلّة الحيلة، والله غالب على أمره.

وممّا سبق نجد حضور المعايير الّتي ألمح إليها (فان ديك): فعلى مستوى العلاقة بين معاني المفردات؛ لاحظنا التّقارب في معانيها بورودها في السّياق المتشابه ما بين القوم الهالكين قوم هود وصالح عليهما السلام، وفي السّياق المتشابه لنجاة هود والّذين آمنوا معه، مقابل نجاة صالح والّذين آمنوا معه، وعلى مستوى التّطابق الإحاليّ؛ فقد بين قدرة الله تعالى في نجاة هؤلاء وإهلاك هؤلاء فهو القويّ القادر على ذلك العزيز الّذي لا يمتنع عليه شيء أراده؛ إذ ورد بتسلسل وتتابع زمنيّ واضح، وعلى مستوى تعالق الوقائع وتطابقها مع الإمكان فقد

تضمّن السّبب والنّتيجة؛ فقوم هود وصالح يقابلهما قوم سيّدنا ﷺ ومن آمن معه فأولئك بكفرهم وشركهم ومواجهتهم أنبياءهم يقابلهم قوم قريش ومن حالفهم من أوليائهم، والتّأييد والنّجاة لسيّدنا هود وصالح ومن آمن معهما، يقابله غلبة سيّدنا ﷺ ومن آمن معه.

الموضع من سورة الشّورى في التّصديق بيوم القيامة والتّكذيب به، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨) اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ القويّ الْعَزِيزُ (١٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠)﴾ وهو أوّل المواضع المدنيّة وفيه يبدو أيضًا التّعادل في ذكر أهل الإيمان وأهل الكفر؛ ليوازيَه ذكر (**القويّ الْعَزِيزُ**) فهنا فريقان: فريق يستهين بيوم القيامة وهم الكافرون، وفريق خائف مشفق منها وهم المؤمنون، ولمّا كان تعالى قويًّا عزيزًا إلّا أنّ لطفه بالعباد-صالحهم وطالحهم-ينمّ عن حلمه وأناته؛ ليهلِك من هلك عن بيّنة، ولينجوَ من نجا عن بيّنة.

قال الطّاهر بن عاشور: «وعطف (**وَهُوَ القويّ الْعَزِيزُ**) على صفه (لطيف) أو على جملة (يرزق من يشاء) وهو تمجيد لله تعالى بهاتين الصّفتين، ويفيد الاحتراس من توهم أنّ لطفه عن عجز أو مصانعة؛ فإنّه قويّ عزيز لا يعجز

ولا يصانع، أو عن توهّم أنّ رزقه لمن يشاء عن شحّ أو قِلّة فإنّه القويّ تنتفي عنه أسباب الشّحّ والعزيز ينتفي عنه سبب الفقر فرزقه لمن يشاء بما يشاء منوط لحكمة عَلِمها في أحوال خلقه عامّة وخاصّة... والإخبار عن اسم الجلالة بالمسند المعرف باللّام يفيد معنى قصر القوّة والعزّة عليه تعالى؛ وهو قصر الجنس للمبالغة لكماله فيه تعالى حتّى كأنّ قوّة غيره وعزّة غيره عدم»[٢٩] وفي ضوء ذلك يمتدّ أثر هذا التّعبير بالقويّ العزيز إلى الآية التّالية لها؛ فالالتفات بالخطاب من الغائب إلى التّكلّم في قوله (نزد له) و(نؤته منها) دلالة على العظمة في قوله (**وَهُوَ القويّ الْعَزِيزُ**) [٣٠] ليعمَّ بفضله ونعمه سائر عباده الصّالحين والطّالحين.

وهنا أيضًا نجد حضور معايير (فان ديك) في العلاقة بين معاني المفردات والتّطابق الإحاليّ وتعالق الوقائع، المتضمّنة في سياق إيراد الاسمين (**القويّ الْعَزِيزُ**) لبيان لطفه عزّ وجلّ وتفضّله على الصّالحين وزيادتهم من فضله، وبحلمه عن الطّالحين وإمهالهم لكي لا يكونَ على الله حجّه بعد أنْ يحتّم قضاءه؛ فلا يجعل لهم في الآخرة من نصيب.

فقد عبّر عن العباد بنسبتهم إليه تعالى (بعباده) لبيان كمال عنايته بهم جميعًا. إذ يبدو من ذلك النّظم الدّقيق والتّواشج والانسجام فيه.

الموضع الثّاني من المواضع المدنيّة من سورة الحديد قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا

رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾ قد يبدو للقارئ ابتداء انتفاء طرفَي الهدى والضّلالة هنا في سياق الآية، ولكن عند إمعان النّظر جيّدًا ستجد ذكر الرّسول والشّرائع والأحكام من جهة، ومن جهة أخرى ذكر النّاس وأمرهم بإقامة القسط بالحقّ؛ ومعلوم أنّ النّاس (أكثرهم للحقّ كارهون) المؤمنون ٧٠ بسبب عدم إحاطتهم بالشّرائع ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء:٢٤)؛ فقد ختمت الآية بقوله: (**إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**) لأنّ الله تعالى هو المتّصف بهذه القوّة الّتي ليس مثلها أيّ قوّة، وبالعزّة الّتي لا يدانيها عزّة. فناسب هذا الختام إرسال الرّسل وإنزال الكتب والحديد الّذي جعل فيه البأس والقوّة؛ فقد هيّأ الله تعالى لعباده وسائل القوّة لمن يريد طاعته ونصرته، وبيده تعالى النّصر فلا غالب له والعزّة فلا سبيل للذّلّ إليه عزّ وجلّ[٣١] ويرتبط هذا التّعبير (**إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**) بالآية الّتي بعدها؛ إذ يقول تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦)﴾ وبذلك تتمّ الصّورة في وجود قطبين للخير والشّرّ ففريق إلى الجنّة وفريق إلى السّعير.

وهنا أيضًا تحقّق معيار (فان ديك) بحسب ما تقدّم من علاقة معاني

المفردات ببعضها والتّطابق الإحاليّ وتعالق الوقائع.

وهذا واضح أيضًا في الموضع التّالي من سورة الحجّ؛ قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)﴾

لقد جاء السّياق في قوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ معزّزًا بالقسم مع التّوكيد للمبالغة في نصره تعالى لمن يجاهد للذّبّ عن دينه؛ وقد صدق الله وعده في نصر المسلمين طَوال دفاعهم؛ فالله هو القويّ بلا ضعف، والعزيز المنيع، غالب غير مغلوب [٣٢]، وواضح في هذا السّياق أنّ هناك ظالمًا ومظلومًا، وحقًّا وباطلًا؛ وقد تعهّد الله للمظلوم بالنّصر والغلبة، وتوعّد الظّالم بالقهر والرّدع، والله قوّي قادر وعزيز قاهر؛ وبذلك توازن الطّرفان في هذا التّعبير أيضًا[٣٣].

ومثله قوله تعالى من سورة الحجّ أيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤)﴾.

يقول البستانيّ: «إنّ هذه الصّورة الفنّيّة تجسّد نمطًا خاصًّا من التّركيب الصّوريّ من حيث طرفته وصياغته... فالصّياغة تتجسّد في لفت النّاس أوّلًا إلى أنّ هناك أنموذجًا من الأمثال الّتي تضرب في سياق العبادة الوثنيّة: فقد طالبَ النّصّ بأنْ يستمعَ النّاس إلى هذا المثل... ومجرّد وقوفنا على مثل هذه الصّياغة الّتي تهيِّئ الأذهان إلى وجود (مَثَل) كافٍ في تحسيس المتلقّي بمدى ما يتضمّنه من الحقائق المذهلة... لقد انتخب النّصّ (الذّباب) دون غيره ربّما لصغره ولاقترانه بما هو منفّر، ثمّ عجز النّاس عن التّخلّص منه... لكونه كان يلحس بعض المأكولات الّتي تدهن بها الأصنام... إنّ هذه الصّورة الملأى بعنصر السّخرية تتناسب مع نمط العقليّة الهزيلة الّتي تستدرّ الإشفاق... (الطّالب) و(المطلوب) هما رمزان فنّيّان لكلّ من عابد الصّنم والصّنم، أو الصّنم والذّباب، أو غير ذلك ممّا يمكن أنْ يستوحيَه من هذين الرّمزين الفنّيّين اللّذين يشعّان بأكثرَ من إيحاء؛ وهذه سمة الفنّ المدهش الّذي يشعّ برموز وصور مرشّحة لأكثرَ من إيحاء أو استخلاص أو دلالة»[٣٤] ومقاربة البستانيّ للمعنى انمازت باللّطافة ولغة العصر؛ بأهمّيّة المثل المضروب للنّاس مع التّوجيه بالاستماع إليه، وبسذاجة عقول عباد الأصنام وبصغر الذّباب الّذي عجز النّاس عن ردّه أو الأصنام الصّمّ عن ردّ ما سلبته منهم ممّا دهنت به، أو لسرّ عظيم في خلق هذه الحشرة، إذ ناسب بين تفاهة عقولهم وحقارة هذه الحشرة. وما بينهما هو قدرة عظيمة لله تعالى لم يصل إلى كنهها من رضي بالدّون

من سخف المعتقد باللّجوء إلى من لا حول له ولا قوّة. فخاطبهم بالأمثال إذ «ليس في الكلام أوجز، ولا أشدّ اختصارًا منها فلمّا كانت الأمثال كالرّموز، والإشارات، الّتي تلوح بها على المعاني تلويحًا، صارت من أوجز الكلام، وأكثر اختصارًا»[٣٥]، وممّا أوضحه الزّمخشريّ في وظيفة التّمثيل قوله : «والتّمثيل إنّما يصار إليه لكشف المعاني، وإدناء المتوهّم من المشاهد؛ فإنْ كان المتمثّل له عظيمًا كان المتمثّل به مثله، وإنْ كان حقيرًا كان المتمثّل به كذلك»[٣٦] وبذا ساغ ختام الآية بـ (**إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**) للانتقال بالكرامة البشريّة إلى مقامها السّامي، والانصراف عمّا يشين العقل البشريّ إلى حيث القوّة المطلقة والعزّة والمنعة.

وقد تحقّقت هنا أيضًا معايير(فان ديك) على ما مرّ ذكره؛ إذ بإثبات عجز المخلوقين ثبت عظمة الخالق وقدرته المطلقة مع عدم رد أمره وقدرته عزّ وجلّ.

وفي ختام هذه المواضع الّتي تسلسلت بحسب التّنزيل المبارك موضع أخير وحقًّا يُعَدّ سنامها؛ فهو يحكي عن جماعة المسلمين بمنافقيهم ومخلّصيهم؛ فقد قال تعالى:﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(المجادلة: ٢١).

وجاء هذا الموضع بعد فقرات من آيات حكت ميل المنافقين والّذين يدّعون الإيمان نحو اليهود حتّى إنّ الآية السّابقة على هذا الموضع سمّتهم حزب الشّيطان؛ إذ قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ(١٩) إِنَّ الَّذِينَ

يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠)﴾؛ وهذا التّصنيف الّذي صنّفهم فيه القرآن الكريم حقيق بهم؛ إذ إنّ شرّ النّفاق من داخل المجتمع الإسلاميّ لأخطر من شرّ العدوّ الخارجيّ؛ لما كشف للمنافق من واقع المسلمين في حين حجب عن العدوّ ذلك؛ لبعده عنه فعندما يتعهّد الله تعالى بالغلبة على كلّ أولئك لا بدّ أنْ تكونَ شاملة عامّة قاهرة؛ ولذا ورد في هذا النّصّ كثير من المؤكّدات؛ مثل: ألا، وإنْ، وهم[٣٧]، على ما في قوله ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وكذا تكرار لفظ الشّياطين؛ هذا فضلًا عن ختام السّورة بقوله عن المؤمنين الّذين يعادون أعداء الله تعالى ويوالون أولياءه، ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ ليقابل بهذه الآية ما مرّ ذكره عن حزب الشّيطان؛ فكما تكرّر في ذاك لفظ الشّيطان ثلاثًا، مع ختامها بالخسران، تكرّر هنا لفظ الجلالة (الله) ثلاثًا ليختمها بالفوز والفلاح، بدلالة توسّط هذين السّياقين بقوله تعالى (لأغلبنّ أنا ورسلي)، الدّالّة على القضاء منه تعالى؛ فالغلبة هنا أوّلًا من حيث الحجّة، وثانيًا من حيث التّأييد الغيبيّ، وثالثًا من حيث طبيعة الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ.

أوّلًا من حيث الحجّة فالإنسان مفطور على إدراك الحقّ والخضوع له، في ما لو عقله اعترفت له فطرته؛ سواء خضع لهذا الحق أم لم يخضع له.

ثانيًا من حيث التّأييد الغيبيّ والقضاء للحقّ على الباطل لإنزال العذاب على مكذّبي الأمم السّابقين وانتصار أنبيائهم عليهم السّلام على ما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: ٤٤).

وعلى ذلك جرت السّنّة الإلهيّة؛ وقد أجمل ذكرها في قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (يونس: ٤٧).

وثالثًا من حيث طبيعة الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ؛ فإنْ كان مؤمنًا فإنّ إيمانه يدفع به إلى الذّبّ عن الحقّ وأهله ومقاومة الباطل وأهله؛ ليبتغيَ بذلك إحدى الحسنيين إما النّصّر أو الشّهادة. وبخلافه من يلهث خلف ملذّات الدّنيا فلا تهمّه غير مصالحه حتّى لو اختار الهزيمة المذلّة للنّجاة بنفسه من الهلكة [٣٨] وفي ضوء ذلك احتيج أيّما حاجة؛ لأنْ يحسمَ الله عزّ وجلّ نصره دينه أمام تخاذل المنافقين الّذين فاقوا اليهود في خطرهم على الإسلام وأهله بأنْ ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ومن المسلَّم به أنْ تتوافرَ هنا معايير ترابط النّصّ القرآنيّ بتتبّع معاني المفردات بعضها ببعض (لأغلبنّ أنا ورسلي) متطابق مع (أنّ الله قويّ عزيز)؛ وهو ما يوحي بعظمته وهيمنته وصغار المنافقين وذلّتهم.

والتّطابق الإحاليّ في إثبات هذه الغلبة له عزّ وجلّ أنّ مشيئته جارية دائمة بدوام اللّيل والنّهار، وإنّما مآل المنافقين والكافرين إلى ذلّة وزوال. وإنّ الثّبات لهذه الحقيقة ستندكّ عندها الإرادات كلّها كما اندثرت من قبلُ؛ الطّواغيت والفراعنة وأهل الجور، على ما عرضه القرآن الكريم.

أمّا تعالق الوقائع فقد حكت سورة المجادلة إحاطة الله سبحانه بخلجات النّفوس ووساوسها، ثمّ انتقل إلى الّذين يجادلون الرّسول ﷺ ويحادونه، وسمّاهم بالمنافقين وركونهم إلى أعداء الإسلام وتوعّدهم بالذّلّ والهوان، إلى أنّ بين فيما قضى سبحانه غلبته وغلبة رسله لأنّ الأمور بيده عزّ وجلّ.

الخاتمة:

ممّا تبيَّن بالبحث عن التّرابط النّصّيّ في ورود اسم (القويّ) في القرآن الكريم الآتي:-

- اقتران وصف (ذو القوّة) باسم (المتين) مرّة واحدة، في موضع مكّيّ تبيّن فيه قوّة التّرابط بين ذكره وذكر النّعم، للمتّقين في الجنّة، وللفضل والإحسان في الدّنيا، وإلى صفة الكرم، فناسب مجيء هذا الاسم مع المذكورات هذه. بحسب طبيعة التّنزيل المكّيّ.

- اقتران اسم (القويّ) بالوصف (شديد العقاب) في سياق ذكر العقاب الدّنيويّ في موضعين؛ أحدهما: مكّيّ، والآخر: مدنيّ؛ وكلاهما في ذكر عاقبة الأقوام الكافرة السّيّئة؛ إذ تشابه السّياق فيه لدلالة تشابه العاقبة بين تلك الأقوام وأشباههم.

- اقتران اسم (القويّ) باسم (العزيز) في سياق ذكر المؤمنين بمعيّة الكافرين في موضوعات: النّجاة والهلكة، الخوف من يوم القيامة وعدمه، إنزال الشّرائع والحديد من السّماء مع ذكر النّصر من جهة والغلبة على العدوّ من جهة، وفي قضاء الله تعإلى بالغلبة له ولرسله ﷺ على المنافقين وأوليائهم، عند ذكر النّفاق في المجتمع المسلم، وذلك لخطرهم .

إذ تحقّقت في هذه المواضع معايير (فان ديك) في وجود تعالق بين معاني المفردات في الجمل تمثل بـ (التعالق الإحاليّ)، ووجود (تعالق بين الوقائع) من حيث التّرتيب الزّمنيّ لهذه الأحداث، ووجود (تعالق العوالم الممكنة) بعلاقة السّبب والنّتيجة، ومدار هذه العلاقات مرتبط بموضوع التخاطب نفسه.

الهوامش:

١- ينظر: لسانيات النّصّ، خطابي ٣١.

٢- المصطلحات الأساسيّة في تحليل النّصّ ومصطلحات الخطاب، دراسة معجمية، نعمان بو قرة ٤٥.

٣- ينظر: لسانيّات النّصّ، خطابي ٣٢-٣٤.

٤- ينظر: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، منذر عياشي ١٠، والشّكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي، محمّد الماكري ٢٧٠.

٥- دلائل الإعجاز، للجرجاني ٤٩.

٦- معجم المعاني الجامع - معجم عربيّ عربيّ، مادة (قوي).

٧- ينظر: لسان العرب مادّة (قوى).

٨- الدّين: بحوث ممهّدة لدراسة تاريخ الأديان، دراز ٤٦.

٩- التّحرير والتّنوير، ابن عاشور ٩ / ٩٩.

١٠- ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، مادة (قوى).

١١- ينظر: الكشاف، للزمخشري ١٠٥٥.

١٢- ينظر: الإيضاح في علم البلاغة للقزويني ١١٢.

١٣- ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرّازي ١٤/ ٢٠٣.

١٤- الكشاف للزمخشري ١٠٥٥.

١٥- تفسير أسماء الله الحسنى، الزّجاج ٥٥ .

١٦- مجمع البيان للطبرسي ٩/ ٢٦٩ وينظر: شأن الدعاء، للخطابي ٧٧.

١٧- ينظر: تفسير الأمثل للشيرازي ١٢/ ٥٠-٥١.

١٨- ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم، للبستاني ٢ / ١١٢.

١٩- مجمع البيان، للطبرسي ٤ / ٣٥٦.

٢٠- ينظر: التحرير والتّنوير ١٠ / ٤٤.

٢١- ينظر: تفسير الأمثل، للشّيرازي ٥ / ٤٦٤.

٢٢- ينظر: المصدر نفسه ٥ / ٤٥٩-٤٦٠

٢٣- ينظر: البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى حسن ٢٨١-٢٨٢

٢٤- ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم، للبستاني ٢ / ٢٩٨

٢٥- التّفسير الكبير، للفخر الرّازي ١٨ / ٢٢

٢٦- الميزان في تفسير القرآن ١٠ / ٢٥٨

٢٧- ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرّازيّ ١٨ / ٢٢

٢٨- مجمع البيان للطبرسي ٥ / ٢٣١

٢٩- التّحرير والتّنوير، لابن عاشور ٢٥ / ٧٣

٣٠- ينظر: الميزان في تفسير القرآن ١٨/ ٣٦، وينظر الأحزاب الآية ٢٥ في حسم النّصّر للمؤمنين على الكافرين.

٣١- ينظر: المصدر نفسه ١٩ / ١٥٩

٣٢- ينظر: المصدر نفسه ١٤ / ٣٣١

٣٣- ينظر: مجمع البيان، للطبرسي ٧ / ١١٤، و نظم الدّرر للبقاعيّ ٥ / ١٥٨

٣٤- التفسير البنائيّ للقرآن الكريم، للبستانيّ ٣ / ٢٠٩-٢١٠

٣٥- المثل السائر لابن الأثير ٣٢

٣٦- الإتقان في علوم القرآن للسّيوطي ٢ / ٢٥٤

٣٧- ينظر: صفوة التّفاسير، للصّابوني ٣ / ٣٤٥

٣٨- ينظر: الميزان في تفسير القرآن ١٩ / ١٨٠-١٨١

المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم

- جلال الدّين السّيوطيّ (ت ٩١١ هـ)، الإتقان في علوم القرآن، ضبطه وصحّحه وخرج آياته محمّد سالم هاشم، مطبعة ذوي القربى، ط٢، ١٤٢٩هق– ١٣٨٧هـ ش.

- ناصر مكارم الشّيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١، منشورات مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ مطبعة سليمان زاده، قم / إيران، ١٤٢٦هـ.

- ابن أبي الإصبع المصريّ، بديع القرآن، تحقيق: د. حفني محمّد شرف، القاهرة، ١٣٧٧هـ–١٩٥٧م.

- الشّيخ محمد الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير: الدار التّونسية للنّشر، الدّار الجماهيريّة للنشر والتّوزيع والإعلان، د.ط، د.ت .

- إبراهيم بن السّري بن سهل، تفسير أسماء الله الحسنى، أبو إسحاق الزّجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدّقّاق، نشر: دار الثقافة العربيّة، ١٩٧٤م.

- د.محمود البستاني، التّفسير البنائيّ للقرآن الكريم، طباعة: مؤسسة الطّبع

التابعة للآستانة الرّضوية المقدّسة، مجمع البحوث الإسلاميّة، مشهد- إيران، ط١، ١٤٢٤ق-١٣٨٢ش.

- الفخر الرّازيّ (ت ٦٠٦ه)، التّفسير الكبير، قدّم له الشّيخ خليل محيي الدّين الميس، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت – لبنان، د.ط،١٤١٥هـ- ١٩٩٥م .

- محمد بن محمد رضا القمّيّ المهديّ(ق١٢ه)، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، تحقيق: حسين دركاهي، دار الغدير للطّباعة والنّشر، قم، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

- عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمد الجرجاني(٤٧٤ه)، دلائل الإعجاز، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، نشر: دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان،ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

- محمّد عبدالله دّراز، الدّين: بحوث ممهّدة لدراسة تاريخ الأديان، مؤسّسة هنداوي،٢٠١٦م.

- حمد بن محمّد أبو سليمان الخطّابيّ، شأن الدّعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثّقافة العربيّة، ط٣،١٤٢٠هـ-١٩٩٢م.

- الشّيخ محمّد عليّ الصّابوني، صفوة التّفاسير تفسير للقرآن الكريم، دار الصّابوني للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة – مصر، ط ٩، د.ت.

- منذر عياشي، الكتابة الثّانية وفاتحة المتعة، ط١، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء-المغرب، ١٩٩٨م.

- أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري الخوارزمي(٤٦٧- ٥٣٨ هـ)، الكشاف: اعتنى به وخرج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط٣،١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م. (طبعة حديثة جامعة للأجزاء كلّها في مجلّد واحد).

- ابن منظور(٦٣٠- ٧١١ هـ)، لسان العرب: دار إحياء التّراث العربيّ، مؤسّسة التّأريخ العربي، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.

- محمّد خطّابي، لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت -لبنان، ط١، ١٩٩١م.

- ضياء الدّين بن الأثير(نصر الله بن أبي الكرم)، المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، تحقيق : د. الحوفي، د. طبانة، مطبعة نهضة مصر- القاهرة، ط١، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م.

- أبو علي الفضل بن الحسن الطّبرسي (ت ٥٤٨ه)، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المرتضى، بيروت – لبنان، ط١،١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

- أبي الحسن علي بن اسماعيل بن سِيدهْ (٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم،

تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

- نعمان بو قرّة، المصطلحات الأساسيّة في تحليل النّصّ ومصطلحات الخطاب، دراسة معجميّة، ط١، جدارا للكتاب العالميّ، عمّان-الأردنّ ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٩م.

- محمد أبو الفضل بن إبراهيم بن إسماعيل الزّمخشري (١٠٧٥-١١٤٤م)، معجم المعاني الجامع – معجم عربي عربي، د.ط، د.ت.

- نخبة من اللّغويّين بمجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، المعجم الوسيط، النّاشر: مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، ط٢، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

- السّيّد محمّد حسين الطّباطبائي (ت ١٩٨١م)، الميزان في تفسير القرآن، منشورات: دار المجتبى للمطبوعات، قم -إيران، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

- برهان الدّين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعيّ، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبدالرّزاق غالب المهدي، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ط ٣، ٢٠٠٦م-١٤٢٧ هـ.